

فهارس مخطوطات مكتبات وادي مزاب وقراءة وصفية لمحتوياتها

زهير باباواسماعيل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة

توطئة:

يعتبر المخطوط ذاكرة الأمة، وتأويل حاضرها، واستشراف مستقبلها، كما يعدّ مؤشرا صريحا على مكانة الثقافة في المجتمعات التي تعتني بها، ودليلا على حراك ثقافي وعلمي في الأمة في أحقاب زمنية متعاقبة. وركيزة أساسية في بلورة كيان الأمة وتحديد هويتها. فإنه « لم تقم نهضة جادة في أمة من الأمم إلا سبقتها دعوة ملحة إلى إحياء الماضي وبعث التراث بعنا صحيحا والبناء عليه والإضافة إليه ... والمستقبل ما هو إلا الماضي مرورا بالحاضر».¹

ووادي ميزاب -كغيره من عديد مناطق العالم الإسلامي- يتميز برصيده الثري من نفائس المخطوطات، حيث يقدر إجمالي مخطوطات وادي ميزاب بأكثر من 8000 مخطوط، وهو عدد كبير بالنظر إلى الحجم الصغير للمجتمع المزابي، ولا يزال أغلب هذا التراث حبيس خزائن المكتبات الخاصة والعامّة، وقد أحصى الباحث محمد الحاج سعيد حوالي 114 مكتبة بوادي مزاب. وإذا علمنا أن الحاج سعيد أنجز إحصاءه سنة 1992م، وأنه قد تم اكتشاف بعض خزائن الكتب الخاصة والتي لم تدخل في الإحصاء، وخزائن أخرى لم تزل طي الخفاء فإن عدد المكتبات يكون أكثر بكثير مما ذكر.²

وإحساسا بأهمية العناية بالتراث الفكري للمنطقة والمتمثل في مخطوطاتها فقد بُذلت جهودٌ معتبرة منذ بداية القرن الماضي من قبل أشخاص و هيئات عامة و خاصة لخدمته؛ بتصويره وتصنيفه ثم فهرسته؛ تيسيرا لمهمة الباحثين والدارسين لتراث المنطقة والجزائر عموما، بأبعادها الجغرافية والدينية والثقافية.

أولا: الجهود الفردية والجماعية لخدمة المخطوط بوادي مزاب:

1- الجهود الفردية: والمتمثلة في الأعمال التي قام بها باحثون مستقلون اهتموا بالتراث في بدايات القرن الماضي خاصة. ومن أبرز هذه الجهود نذكر أعمال المستشرقين كالمستشرق موتيلانسكي في "ببليوغرافية مزاب" سنة 1885م، والمستشرق شاخت في مقاله "المكتبات والمخطوطات الإباضية سنة 1956م، وأبحاث فون هاس حول المخطوطات الإباضية في سنة 1974م.

¹ - ينظر: محمد ناصر بوحمام: ملاحظات حول تاريخنا القديم، (ط2؛ المطبعة العربية- غرداية الجزائر، 1998م)، ص: 40.

² - ينظر: جمعية التراث القرارة غرداية، فهرس مخطوطات آل بدر الفهرس الشامل لنحو 600 عنوان، 1414هـ-1994م، ص: ج، د.

إضافة إلى بعض المحاولات البيبلوغرافية الحديثة كالقائمة التي أنجزها الباحث عمرو خليفة النامي حول المخطوطات الإباضية المكتشفة حالياً وذلك سنة 1970م، وما قام به الشيخ عبد الله كقطابلي بوضعه لبطاقات وصفية لمؤلفات القطب المخطوطة.³

غير أن أهم هذه الأعمال التي كان لها امتدادات على المستوى المحلي خاصة، وقدمت خدمة جليلة للتراث في وادي مزاب نذكر منها ما يأتي:

أ . جهود أبي إسحاق إبراهيم اطفيش (1886-1965م)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج محمد اطفيش ولد ببلدة بني يزقن بغرداية سنة 1886م، أخذ مبادئ العلوم العربية و الشرعية على يد عمه القطب اطفيش (ت: 1332هـ-1914م) في مسقط رأسه.

عرف أبو اسحاق في الأوساط السياسية و الثقافية بكرهه الشديد للاستعمار الفرنسي الذي نفاه من الجزائر إلى تونس، وعرف بنشاطه ذاك في الأوساط التونسية، وما لبث أن جاءه قرار النفي والإبعاد من السلطات الفرنسية على أن يختار أي بلد يشاء، فاختار مصر.

وفي القاهرة وجد المجال واسعاً للتكوين والتبحر في كل مجالات الحياة، فنشط في ميدان السياسة والفكر وقام بأعمال جليلة في الصحافة، و تحقيق التراث، و التأليف، إلى جانب نشاطه الاجتماعي مع الجمعيات الخيرية ذات التوجه الإصلاحية الإسلامي.

إن عزيمة أبي إسحاق القوية وإرادته الصلبة مكنته من إنقاذ نفائس التراث الإسلامي المغربي منه خاصة، ونشره محققاً، مستغلاً المنصب الذي شغله بدار الكتب المصرية بالقاهرة، حيث أسندت إليه وزارة الداخلية المصرية في سنة 1359هـ/1940م مهمة الإشراف على قسم التصحيح وتحقيق التراث بدار الكتب المصرية.⁴ ومن أهم تلك المؤلفات التي طبعت وحققت على يديه نذكر ما يأتي:⁵

1- تراث شيخه احمد بن يوسف اطفيش:

- شرح كتاب النيل وشفاء العليل، والذي يعد حالياً مرجعاً للدارسين في الفقه الإباضي، وقد وقف أبي إسحاق على طبعه و صححه وذلك سنة 1343هـ/1924-1925م.

- كتاب الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، وهو كتاب في الفقه المقارن، قام أبي إسحاق بطبعه والتعليق عليه، كما صدر الكتاب بمقدمة تعريفية عن حياة المؤلف، وكان ذلك سنة 1343هـ/1924-1925م.

³ - جمعية التراث: فهرس مخطوطات آل يدر، 1414هـ-1994م، ص: ح.

⁴ - ينظر أحمد محو كروم، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش العالم العامل، (ط1؛ جمعية أبي إسحاق - غرداية، 1431هـ-2010م)، ص12-13. جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية من ق1هـ إلى 15هـ "قسم المغرب"، (ط1؛ غرداية: جمعية التراث، 1420هـ-1999م)، رقم: 37.

⁵ - ينظر: ابو زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، تعليق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، (ط6؛ مكتبة الإستقامة-مسقط، د ت ن)، (مقدمة المحقق، ص3-16) الدكتور محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، (دط، جمعية التراث-القرارة، د ت ن)، ص 21؛ أحمد كروم، الشيخ أبو إسحاق العالم العامل، ص27-29.

- كتاب شامل الأصل والفرع، الذي ألفه القطب في آخر حياته في جزئين، وقد التزم أبو إسحاق بطبعه وتصحيحه سنة 1348هـ/1929-1930م.

- كتاب الرسم في تعليم الخط، وقد قام أبو إسحاق بتصحيحه وطبعه سنة 1349هـ/1930-1931م.
2- كتب تراثية أخرى:

- كتاب الوضع في الأصول والفقهاء لأبي زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني النفوسي (ق: 5هـ / 11م)، قام أبو إسحاق بنشر الكتاب والتعليق عليه، كما صدره بمقدمة تعريفية بالكتاب ومؤلفه، ونبذة عن تاريخ نفوسة.

- رسالة تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، للإمام نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي (ت: 1332هـ/1914م)، طبعها أبو إسحاق بعد أن صححها وعلق عليها وذلك سنة 1344هـ-1925-1926م.

- جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام للإمام السالمي، (ت: 1332هـ/1914م)، قام أبو إسحاق بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه وذلك سنة 1346هـ/1927-1928م.

- كتاب الملاحن للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت: 321هـ-933م)، صححه أبو إسحاق وعلق عليه وذيله بذيل وذلك سنة 1347هـ/1928-1929م.

- مقدمة التوحيد وشروحها للشيخ بدر الدين أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخيت: (ت: 928هـ-1522م) والشيخ أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاقي، (ت: 967هـ/1560م). صححها وعلق عليها أبو إسحاق وطبعها سنة 1353هـ/1934-1935م.

ثانياً: جهود السيد الحاج سعيد محمد:

هو السيد محمد بن أيوب بن الحاج سليمان بن الحاج أيوب من عائلة الحاج سعيد من مواليد سنة 1953م بغرداية، نشأ في أحضان عائلة كريمة أنجبت أعلاماً ساهمت في تفعيل الحياة الثقافية والفكرية في المنطقة. تتلمذ على يد مشائخ المنطقة كعادة أترابه، وتحصل على شهادة مساعد محاسب من المدرسة التقنية سنة 1982م.

ظهر اهتمام السيد الحاج سعيد بالتراث جلياً من خلال احتكاكه بالعلماء والشخصيات المهمة بالتراث الإباضي من داخل الوطن وخارجه، حيث كانت له عدة لقاءات مع مستشرقين اهتموا بتراث وادي مزاب من هؤلاء:

- البروفيسور تادوش لفتسكي الخبير في المذهب الإباضي وتاريخ البربر.

- د. يوسف فاهنس الألماني المختص في الدراسات الإسلامية والإباضية.

- د. روبرتو رونتشي باحث في المذهب الإباضي ومدرس في معهد الاستشراق في نابولي بإيطاليا.

- د. القس كوبرلي الباحث والمتخصص في المذهب الإباضي.

- د. هرليش ريبستك باحث في المذهب الإباضي وتاريخه في شمال إفريقيا في ألمانيا.⁶

⁶ - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (1426هـ-2005م)، ص: ج- هـ،

ويملك الحاج سعيد محمد مكتبة خاصة جمع فيها نفائس الكتب عن طريق الشراء والإهداء أحيانا، حيث كان يتتبع الأسواق وبخاصة سوق بني يزقن، وكلف دلالات يتقرب الكتب المعروضة للشراء وشرائها مهما بلغ ثمنها. كما أثرى مكتبته من خلال تعقب التركات واقتناء ما يعرض فيها، على غرار مخلفات عميه لأمه الشيخ حمو باباموسى وشقيقه الحاج محمد، حيث استطاع أن يسترجع ما تسرب من مكتبتهما بعد وفاتهما.⁷

ومن جهود السيد الحاج جمعه للصور الفوتوغرافية والمستنسخات الآلية لمخطوطات الإباضية من مكاتب ومراكز خارج الوطن، من خلال رحلاته إلى العديد من البلدان العربية والغربية كالمغرب والسعودية وتركيا وإيطاليا وبولونيا وألمانيا وروسيا.⁸

كما شارك في العديد من المعارض والندوات والمؤتمرات؛ معرّفا بالرصيد الثقافي للمنطقة، ومستنهضا لهمم الباحثين بغية الاهتمام بالتراث وتحقيقه.

يشهد القاضي والداني في المنطقة للسيد الحاج سعيد اهتمامه بشؤون المخطوطات، وكذا وثائق وادي مزاب وتاريخه، إذ يعد مرجعا للباحثين وسندا لهم في سير أغوار المخطوطات في المنطقة. وكانت ثمرة جهوده إنشاء جمعية ثلة من الرجال المهتمين بالمخطوط، لجمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث بغرداية، ويشغل حاليا منصب رئيس الجمعية.

2- الجهود الجماعية: والمتمثلة في جهود تبنتها جمعيات وهيئات في نهاية القرن الماضي ولا تزال؛ وسنقتصر على الهيئات التي تبنت أعمالا في فهرسة المخطوطات أو تصويرها ومن هذه الجمعيات نذكر:

أ. جمعية التراث بالقرارة:

تأسست الجمعية بفكرة شخصية لدى "الدكتور محمد ناصر"، ثم تبلورت بعد تأييد من بعض مشائخ بلدة القرارة، وتحصل الجمعية على الرخصة الرسمية في شهر ماي 1989م.

وقد سطرت الجمعية لنفسها منذ تأسيسها برامج طموحة، انطلاقا من أهدافها، والتي من أهمها جمع التراث وترميمه، والحفاظ عليه بالتصوير والتسجيل، والنسخ، والطباعة، والنشر، والمحافظة على التراث الفكري المكتوب.⁹

وفي تسعينيات القرن الماضي تبنت الجمعية مشروعا لفهرسة المخطوطات في إطار عمل جماعي لباحثين، أطلق عليه: "نحو دليل مخطوطات وادي مزاب". حيث استطاع المشروع أن يقنع كثيرا من أصحاب المكتبات بفتح خزائن مخطوطاتها أمام المهرسين.

فاجتمعت ثلة من الطلبة والباحثين في أيام مغلقة سميت بأيام غار أجماج،¹⁰ وتمكنوا من إتمام فهرسة حوالي ثمان مئة مكتبات وهي:

⁷ - ينظر: المرجع نفسه، ص: ج-هـ،

⁸ - ينظر: المرجع نفسه، ص: ز.

⁹ - ينظر: موقع الجمعية. www.tourath.org التعريف بالجمعية، 2012/03/30.

¹⁰ - ينظر: مصطفى ابن ادريسو، فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي مزاب "دراسة وتحليل"، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث القرارة الجزاء، العدد الثاني عشر، رمضان 1429هـ/ أكتوبر 2008م، ص198.

- 1- فهرس عشيرة آل يدر ببني يزقن سنة 1414هـ/1994م.
- 2- فهرس مكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية، سنة 1415هـ/1994م.
- 3- فهرس مكتبة البكري بالعطف، سنة 1414هـ/1994م.
- 4- فهرس مكتبة إيروان بالعطف. سنة 1995م.
- 5- فهرس مكتبة عشيرة آل فضل ببني يزقن. سنة 1416هـ/1996م.
- 6- فهرس مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن سنة 1417هـ/1997م.
- 7- فهرس مكتبة الشيخ ابن ادريسو ببني يزقن. سنة 1419هـ/1998م.
- 8- فهرس مكتبة بو عيسى عيسى ببني يزقن. سنة 1415هـ/1995م.

وقد انطلق العمل بمجموعة من أربعة باحثين ثم انضم إليهم باحثون فوصل عدد المساهمين في إعداد كل الفهارس إلى عشرين باحث. وتجدد الإشارة إلى أن الجمعية باشرت في إطار المشروع في فهرسة مكتبات أخرى، إلا أن العملية لم تكتمل لظروف خاصة بالجمعية، وأهمها تعثر التمويل المادي للمشروع، ومن هذه المكتبات نذكر:¹¹

- 1- مكتبة الشيخ إبراهيم متياز ببني يزقن.
 - 2- مكتبة الشيخ محفوظ ببني يزقن.
 - 3- مكتبة القطب ببني يزقن. (وقد شرعت جمعية أبي إسحاق في فهرستها).
 - 4- مكتبة معهد الإصلاح بغرداية. (راجعها وفهرستها جمعية أبي إسحاق).
 - 5- مكتبة الشيخ باسة بورقلة. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).
 - 6- مكتبة بومعقل عيسى بورقلة.
 - 7- مكتبة الشيخ باباوموسى حمو بغرداية. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).
 - 8- مكتبة الحاج سعيد محمد بن أيوب بغرداية. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).
- يعتبر مشروع نحو دليل مخطوطات وادي مزاب بشرى لكل الباحثين في التراث، وفتحاً لمكتبات وادي مزاب، وبإدارة خير حفزت العديد من المكتبات على فتح أبوابها للعاملين الفاعلين في خدمة التراث، لما ظهرت ثمار المشروع وأضحت بادية للعيان. كما حملت مؤسسات أخرى على التفكير في ولوج هذا المجال حفاظاً على ذاكرة المنطقة من أن تندثر.

ب. قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد:

مؤسسة الشيخ عمي سعيد مؤسسة تربوية غير ربحية تمتد جذورها إلى تاريخ تأسيس حلقة العزابة بالجزائر في بداية القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، تهتم بتكوين الفرد لأداء واجبه نحو نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه والإنسانية جمعاء، تشرف على التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي للبنين والبنات بتأسيسها لمعهد عمي سعيد سنة

¹¹ - ينظر المرجع نفسه، ص 207.

1393هـ - 1973م، كما توفر فرصا للتخصص في العلوم الإسلامية لمرحلة ما بعد الثانوي، بتأسيس قسم التخصص في العلوم الإسلامية سنة 1409هـ - 1988م.¹²

تهتم المؤسسة بالتراث ضمن نشاط مكتباتها التي تحوي آلاف من المخطوطات والكتب؛ خدمة للباحثين، ونشرا لثقافة القراءة في الأوساط. فأنشأت المؤسسة ضمن هياكلها قسما خاصا أطلقت عليه: "قسم التراث والمكتبة"، أسندت له مهمتين:

1- المكتبة: والتي أنشئت سنة 1969م، ومقرها الحالي بحي حواشة وسط المدينة، وقد عرفت المكتبة تزويدات واسعة من مختلف المكتبات والشخصيات، خاصة في الآونة الأخيرة، لتصبح من أضخم المكتبات في وادي مزاب، إذ تحتوي على حوالي 9500 كتاب مطبوع، و2000 كتاب مخطوط، وفي مختلف التخصصات العلمية.¹³

2- التراث: استشعارا من إدارة المؤسسة بالمسؤولية التاريخية ووجهت قسطاً وافراً من جهودها في سبيل خدمة التراث جمعاً وحفظاً ودراسة وتحقيقاً ونشراً. وكانت كل الأعمال التي أنجزتها المؤسسة في مجال التراث تحمل شعاراً: "رسالة التراث". ومن المشاريع التي تقوم بها المؤسسة في هذا المجال:

- تحقيق كتابي "قواعد الإسلام" و"قناطر الخيرات" للشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي (ت: 750هـ) - جمع وتحقيق جوابات قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش.

- إصدار فهرس وصفية لمخطوطات خزائن المؤسسة وغيرها، حيث قامت مؤسسة الشيخ عمي سعيد بإصدار 9 فهرس للمخطوطات مكتبات وادي مزاب منذ سنة 1423هـ-2002م، بدأتها بفهرس لمخطوطات خزانتها العامة ليصل عملها إلى غاية 1431هـ-2010م بفهرس لمخطوطات الخزانتين للشيخين الشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو باهون، وتمثل الفهرس التي أنجزتها المؤسسة فيما يأتي:¹⁴

- فهرس مخطوطات الخزانة العامة. (1423هـ-2002م).

- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمو بابا وموسى (1424هـ-2003م).

- فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث: الشيخ صالح بن كاسي، الحاج بكير بوكرموش، الفاضل باحمد أشقبقب، (1426هـ-2005م).

- فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (الخجورات) (1426هـ-2005م).

فهرس مخطوطات خزانة دار التعليم للمشايع: مامة بنت سليمان بياز، بكير بن عمر موسى واعلي، بكير بن علي موسى واعلي، (1428هـ-2007م).

- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي الشهير بالشيخ الحاج بابكر، (1428هـ-2007م).

¹² - ينظر موقع المؤسسة: www.irwane.org التعريف بالمؤسسة، 2012/03/30.

¹³ - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانة العامة، (1423هـ-2002م)، ص: هـ- و.

¹⁴ - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانتين للشيخين الشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو باهون ، 1431هـ-2010م، ص: أ.

- فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ "إروان" بجامع غرداية الكبير (1430هـ-2009م).
- فهرس مخطوطات خزانة باسة بن أم موسى الوارجلاني (1431هـ-2010م).
- فهرس مخطوطات الخزانين للشيخين الشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو باهمون، (1431هـ-2010م).

ويتمثل عمل مؤسسة الشيخ عمي سعيد في مجال رعاية وخدمة المخطوطات تتمثل في أربعة وظائف وهي:

- الاقتناء والجمع
- الترميم والصيانة
- الجرد والفهرسة
- الحفظ والاستثمار

وتعد هذه الوظائف مراحل أساسية لمشروع بعيد المدى تبنته المؤسسة والذي سيكفل بدار للمخطوطات لتكون مقرا مناسباً لأعمال رعاية المخطوطات.¹⁵

ثالثاً: جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية:

تأسست "الجمعية" بتاريخ 11 أبريل 1995م، باعتماد رسمي من ولاية غرداية، الجزائر، بوصفها هيئة خيرية علمية، تعمل على ترميم جهود الباحثين في حقل التراث عامة والتراث الإباضي خاصة.

وكانت فكرة إنشاء الجمعية ترميناً لعدة تجارب وأفكار، لعل أبرزها تجربة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)، وهو يشغل حالياً منصب رئيس الجمعية.¹⁶

تعتبر جمعية أبي إسحاق من المؤسسات الخيرية الرائدة في مجال حفظ التراث، وبالخصوص المخطوط منه، لذا فقد جعلت من أهم أولويات مشاريعها العمل على تأمين رصيد المخطوط في وادي مزاب وصيانتها، بغية اكتشاف الكنوز المغمورة في وادي مزاب وحفظ مخطوطاتها، وديمومة الاستفادة منها، باستعمال التقنيات التكنولوجية الحديثة لتسهيل تعامل الباحثين والدارسين معها.

ولتجسيد المشروع فقد سلكت الجمعية أحسن الطرق التكنولوجية الحديثة والمتمثلة في:

- التصوير الميكروفيلمي (حفظ طويل المدى، حوالي 70 سنة) لديمومة المحتويات.
- التصوير الرقمي (حفظ متوسط المدى، حوالي 5 سنوات) لسهولة التداول.
- باشرت الجمعية في المشروع خلال موسم 1995-1996م، وقد تم تصوير عدة مكتبات وخزائن منها:
- خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي.
- مكتبة عشيرة آل بدر ببني يزقن.
- مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن.
- مكتبة البكري بالعطف.

¹⁵ - ينظر المرجع نفسه، ص: ب.

¹⁶ - ينظر موقع المنهاج الخاص بالجمعية: www.elminhaj.org التعريف بالجمعية، 2012/03/30.

- مكتبة قطب الأئمة.

- مكتبة الإصلاح بالراعي بغرداية.

ويشتمل المشروع على خطوات وعمليات تقنية وأخرى علمية، يمكن أن نوجزها في الترتيب الآتي:

أولاً: إحصاء المكتبات.

ثانياً: فهرسة المخطوطات.

ثالثاً: رقن الفهارس.

رابعاً: التصوير الرقمي، أو التصوير الميكروفيلمي.

خامساً: تصنيف الأفلام والأقراص، ومقابلتها مع الفهارس.

سادساً: التصفح الافتراضي في مخطوطات المكتبات، وتسيير المحتويات الرقمية عن طريق برنامج كمبيوتر (برنامج المعصومة لمعاينة المخطوط).¹⁷

وقد عكف مؤخرًا فريق عمل الجمعية على فهرسة مكتبة القطب، بعد أن أصدر فهرسًا جرديًا لمحتويات المكتبة التي تعد أغنى مكتبة بوادي مزاب، حيث تحتوي على 968 وحدة، والمقصود بالوحدة ما بين دفعتي الجلدة أو الغلاف "سفر" بغض النظر عن عدد العناوين التي تكون داخل هذه الوحدة، قد تصل أحيانًا إلى العشرات.

وترجع أهمية المكتبة إلى الروافد التي استقت منها، وإلى تنوع الفنون التي تحويها، ولا غرو فهي مكتبة عالم جليل، وتشهد لذلك خزائنه التي تحوي إنتاجه العلمي الغزير والذي يتنوع بين تأليف مطول ومختصر وبين شرح وحاشية، فضلًا عن بعض المؤلفات التي خرجت من الخزانة ولم ترجع أو تلك التي ربما ضاعت فلم يبق سوى عناونها.¹⁸

ثانياً: قراءة وصفية في مضامين بعض الفهارس المنجزة:

تتوزع خزانات المخطوطات على عديد المكتبات في قصور وادي مزاب وفي مختلف التخصصات والفنون العلمية مترجمة بذلك النشاط العلمي لبعض العلماء ومحبي العلم الذين يشرفون على إنشاء مكتبات خاصة تبقى من بعدهم. وتتوزع خزائن المخطوطات بوادي مزاب بين العام والخاص، فمنها:

- المكتبات العامة كمكتبة القطب ببني يزقن

- المكتبات الخاصة كمكتبة الحاج سعيد بغرداية

- مكتبات تابعة للعشائر كمكتبة آل خالد ببني يزقن

- مكتبات تابعة للمعاهد والمدارس كمكتبة معهد الإصلاح بغرداية

- مكتبات تابعة للمساجد كمكتبة دار التلاميذ (إيروان) بغرداية والعطف

¹⁷ - ومؤخرًا دخل المشروع ضمن برنامج 2 ONG، ينظر: صالح سيوسيو، ورقة حول تجربة جمعية أبي إسحاق في تأمين المخطوط ضمن برنامج 2 ONG، مجلة المنهاج، علمية متخصصة في مخطوطات الإباضية ووادي مزاب وفي وثائقها الأرشيفية، تصدر عن جمعية أبي إسحاق لخدمة التراث بغرداية، العدد الأول، محرم 1433هـ - نوفمبر 2011م، ص: 212-213، 219-220، عيسى بن يحيى حمو عبد الله، عضو الجمعية مكلف بالإعلام، تسجيل صوتي بتاريخ: 25-03-2012.

¹⁸ - ينظر: جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، فهرس جردى لمكتبة الحاج احمد بن يوسف اطفيش (القطب) ببني يزقن غرداية الجزائر، 1430هـ-2008م. ص3.

- مكتبات تابعة للجمعيات كمكتبة جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية.
وسنحاول القيام بقراءة تحليلية وصفية لمضامين بعض الفهارس التي أنجزت، وسنقتصر على ما أنجز من قبل جمعية التراث ضمن دليل مخطوطات وادي مزاب، وكذا الفهارس التي أنجزها قسم التراث والمكتبة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد.

1- فهارس جمعية التراث:

أشرنا عند حديثنا عن جهود جمعية التراث أنها تبنت مشروع عمل جماعي أطلق عليه "نحو دليل مخطوطات وادي مزاب" أثمر 8 فهارس. متبعة في أغلبها الطريقة الآتية:¹⁹

- تنظيف المخطوط.
- ترتيب وتنسيق ما اختلط منه إن وجد.
- ترقيم أوراق المخطوط بقلم الرصاص.
- ضبط المعلومات في استمارة المخطوط: (الرقم في المكتبة، عنوان المخطوط، المؤلف، تاريخ وفاة المؤلف، موضوع المخطوط، أول المخطوط، آخر المخطوط، النسخ، تاريخ النسخ، رقم الجزء، عدد الأوراق، عدد الأسطر، المقاس، كمال المخطوط أو خرمه، حالة الخط ونوعه، لون المداد، ملاحظات أخرى).
- تصنيف المخطوط وترتيبه في المكتبة ترتيباً جديداً.
- استنساخ أهم المخطوطات في المكتبة والتي يخاف تلفها.
- ترتيب استمارات المخطوط ومراجعتها.
- محاولة استخراج المجاهيل من العناوين والمؤلفين ...
- تصنيف معلومات الاستمارات في الكمبيوتر حسب مواضيعها.
- إنجاز الكشافات المساعدة.
- كتابة مقدمة للفهرس ثم السحب النهائي.
- وفيما يلي قراءة في بعض الفهارس المنجزة:
أ. فهرس مكتبة عشيرة آل يدر ببني يزقن:
- ويعد أول فهرس يصدر في إطار دليل المخطوطات وذلك في رمضان 1414هـ الموافق لشهر فيفري 1994م.
- يرجع أصل ملكية مكتبة عشيرة آل يدر إلى الشيخ محمد بن باحمد بن يحيى (حي في 1351هـ)، وباحمد بن حمو بن يحيى يدر (حي في 1352هـ).
- ومعدل عمر المكتبة أكثر من قرنين من الزمن.²⁰

¹⁹ - ينظر مصطفى ابن ادرسو، فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي مزاب، مجلة الحياة، العدد الثاني عشر، رمضان 1429هـ / أكتوبر 2008م، ص 198-199.

²⁰ - ينظر جمعية التراث، فهرس مخطوطات آل يدر، ص: ي، ك.

يحتوي الفهرس على 259 صفحة، بمجموع 594 عنوان، منها 128 في النظم والقصائد، و466 مؤلفات نثرية، وتحتل المؤلفات الفقهية الصدارة بمجموع 158 عنوان، ثم المواعظ والابتهالات والفضائل في 96 عنوان، والعلوم الرياضية والحديث ب 70 عنوان، واللغة العربية وعلومها ب 63 عنوان.

ب. فهرس مكتبة آل فضل ببني يزقن:

تمتلك مكتبة آل فضل خزانة من مخطوطات نفيسة في علوم مختلفة، ورغم قدم المكتبة نسبيا وتعرضها في فترة ما إلى نوع من الإهمال إلا أن مجموع عدد المخطوطات الكاملة يبلغ أكثر من نصف المجموع الإجمالي لمخطوطات الخزانة.²¹

ويعتبر السيد موسى بن عمر بن يعقوب بن موسى منشئ المكتبة، وهو الذي أوصى بحبسها، ثم انتقلت إلى أبنائه أبا عن جد والذين ساهموا في إثرائها، كما ساهم في إثراء هذه المكتبة الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي. (ت: 1202هـ-1787م).

وتظهر أهمية المكتبة في تواريخ نسخها التي يرجع أكثرها إلى القرنين 11-12هـ/17-18م، كما يرجع بعضها إلى القرنين 9-10هـ/15-16م، ويرجع أقدمها إلى 669م.²²

وقد تم الفراغ من فهرسها بإنجاز من السيد بوراس يحيى وإشراف جمعية التراث وذلك سنة 1416هـ-1996م. فظهر الفهرس في 185 صفحة، اشتملت على 508 عنوان في شتى الفنون منها 98 عنوان في القصائد والنظم، و410 عنوان في الأعمال النثرية. وقد كان للفقهاء النصيب الأوفر من مجموع المؤلفات ب 125 عنوان، ثم اللغة العربية وعلومها ب 102 عنوان، والعلوم الرياضية والحديث ب 58 عنوان، والتاريخ والجغرافيا ب 53 عنوان.

ج. مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن:

المكتبة ملك من أملاك عشيرة آل خالد ببني يزقن، تحتوي على خزانة الشيخ محمد بن عيسى أزيار، (ت: 1296هـ-1872م)، وقد كانت عند أحفاد ثم وضعت تحت تصرف العشيرة.

تعتبر أكبر مكتبة شاملة لمخطوطات عمانية مشرقية في المغرب عموما، فمالكها الأصلي الشيخ أزيار جلبها معه من عمان، بعد أن استقر بها لفترة.²³

لم تصنف المخطوطات في الفهرس حسب مواضيعها كما هو حال الفهارس الأخرى، وإنما اكتفي فيها بكشاف مستقل للمواضيع وضعت أمامها أرقام المخطوطات التي تندرج فيها. كما أن بطاقات المخطوطات رقت برقم البطاقة وليس بالصفحات.

²¹ - ينظر: جمعية التراث، فهرس مخطوطات خزانة آل فضل، 1416-1996، ص: أ.

²² - ينظر: المرجع نفسه، ص: د-ه، و.

²³ - ينظر: جمعية التراث: فهرس مخطوطات مكتبة عشيرة آل خالد خزانة الشيخ محمد بن عيسى أزيار، القرارة غرداية، 1417هـ-

1997م. ص: 8، م: 11.

وقد تم الفراغ من وضع الفهرس في ذي القعدة من سنة 1417هـ يوافق شهر ديسمبر من سنة 1997م. وقد اشتمل على 282 عنوان منها 152 كتاب في الفقه، و33 كتاب في اللغة العربية وعلومها، و28 كتاب في العقيدة وعلم الكلام.

وأقدم نسخة في المكتبة هي لكتاب "سبوغ النعم" وهو لمؤلف مجهول، تم نسخها في 900هـ من قبل زايد بن يسفاو الوسياني.

د. فهرس مكتبة الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو ببني يزقن:

تحتوي المكتبة على خزانتي:

الأولى: خزانة الحاج صالح بن سليمان ابن ادريسو.

الثانية: خزانة الحاج عمر بن صالح ابن ادريسو .

أصل المكتبة هي للشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو (ت: 1313هـ-1896م)، بها جل مؤلفاته، إضافة إلى اقتناءات مختلفة، ثم انتقلت إلى ابنه سليمان وصالح اللذين ساهما في إثرائها، وهي حاليا عند حفيديه الحاج صالح بن سليمان والحاج عمر بن صالح.

وتتميز المكتبة بكتب مطبوعة وبأعداد هائلة للجرائد الأسبوعية للشيخ أبي اليقظان ²⁴.

والفهرس لم يكتمل في إطار عمل جمعية التراث وقد أخذ زمام الأمور من بعدها الأستاذ ابن ادريسو مصطفى بن محمد ليكتمل العمل في رمضان من سنة 1419هـ يوافق شهر ديسمبر من سنة 1998م. ²⁵

والفهرس يقع في 94 صفحة، ومقسم إلى قسمين، لكل خزانة وضع لها فهرس مستقل. بمجموع 254 عنوان، منها 82 كتاب في الفقه، و32 كتاب في الوعظ والزهد والفضائل، و19 عنوان في العقيدة وعلم الكلام.

ثانيا: فهارس قسم التراث والمكتبة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية:

استطاع قسم التراث والمكتبة بمؤسسة الشيخ عمي سعيد أن يحمل المشعل بعد جمعية التراث لما توقف مشروع دليل المخطوطات، فتمكنت من فهرست 9 مكنتات خاصة وعمامة بمدينة غرداية.

وقد كان العمل في بداية الأمر جماعيا في دورات مغلقة، ثم تفرغ للعمل كل من الأستاذ بشير الحاج موسى، مدير قسم التراث والمكتبة، بجمعية الخبير في مجال المخطوط الأستاذ يحيى بوراس.

ومما تميز به هذا العمل عن سابقه: ²⁶

- فصل مخطوطات الأعمال النثرية عن النظامية في الفهرس ووضع كل منهما في قسم مستقل عن الآخر.

- ترقيم المخطوطات على أساس ترتيبها في الخزائن والذي كان على حسب الأحجام.

- وضع ملاحق مشتملة على قوائم للمصاحف والمخطوطات المصورة، والوثائق المستقلة.

²⁴ - ينظر: جمعية التراث: فهرس مخطوطات محمد ابن سليمان ابن ادريسو خزانة الحاج صالح بن سليمان، وخزانة الحاج عمر بن

صالح، القرارة غرداية، 1419-1998. ص: 9

²⁵ - ينظر: مصطفى ابن ادريسو، فهرسة المكنتات والمخطوطات في وادي مزاب، مجلة الحياة، ص: 204.

²⁶ - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانة العامة، (1423هـ-2002م)، ص: ح.

وقد تضمنت عملية الفهرسة في أغلب فهارس قسم التراث والمكتبة على الخطوات الآتية:

- تنظيف المخطوط وترتيب أوراقه.

- ترقيم أوراق المخطوط.

- وضع معلومات كل مخطوط في استمارة خاصة.

- ترتيب المخطوطات في الخزانة على حسب الأحجام وترقيمها على تلك الوضعية.

- تصنيف الاستمارات على حسب المواضيع.

- تصنيف محتوى الاستمارات على الحاسوب.

- وضع الكشافات العامة المساعدة.

وفيما يلي عرض لأهم الفهارس المنجزة من قبل القسم:

أ. فهرس الخزانة العامة:

الخزانة هي ملك للمؤسسة وقد كانت في بداية الأمر تابعة للمدرسة القرآنية التي يشرف عليها المسجد الكبير بغرداية. ثم عرفت تزويدات مختلفة على أيدي أعضاء من إدارة المؤسسة، كما تدعمت بمكتبات محبسة وأخرى موروثه لمشايخ منهم: الشيخ بهون فخار تلميذ قطب الأئمة (ت: 1394هـ-1974م)، والشيخ إبراهيم كوله تلميذ القطب أيضا (ت: 1363هـ-1944م)، ويوسف تزبنت قاضي المحكمة الإباضية بقسنطينة (ت: 1387هـ-1968م). وغيرهم.²⁷

ويعتبر فهرس الخزانة العامة أول فهرس ينجزه قسم التراث والمكتبة بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، وكان ذلك في شهر شعبان من سنة 1423هـ يوافق شهر أكتوبر من سنة 2002م. ويضم بين دفتيه 725 عنوانا في 316 صفحة. منها 449 عمل نثري، و276 من الأعمال النظامية.

وكان للمواضيع الفقهية النصيب الأوفر ب 118 عنوان، ثم التاريخ والجغرافيا ب 94 عنوان، والعقيدة وعلم الكلام ب 79 عنوان، واللغة العربية وعلومها ب 74 عنوان.

بالفهرس ملحقان أحدهما للمصاحف الشريفة والتي تضم 34 مصحفا، وآخر للمخطوطات المصورة والتي يبلغ عددها 83 مخطوطا.

ويرجع أقدم نسخة في خزانة إلى سنة 697هـ وهو يضم مجموعة من الأحاديث الأربعينية.

ب. فهرس خزانة القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي بغرداية:

تتواجد خزانة القاضي أبي بكر حاليا بجمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية، وضعها أحفاد الحاج بابكر في يد الجمعية بغية فهرستها وتنظيمها.

وقد تكفل قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد بمهمة فهرستها في إطار مشروع القسم، وتم ذلك في رجب من سنة 1428هـ الموافق لشهر أوت 2007م.

²⁷ - ينظر: المرجع نفسه، ص: و-ز.

ويضم الفهرس 334 عنوانا في 180 صفحة، منها 228 عنوان في قسم الأعمال النثرية، و106 في قسم الأعمال النظامية، ويبلغ عدد المخطوطات الفقهية 86 عنوانا، واللغوية 49 عنوانا.

وتحتوي الخزانة على أقدم نسخة من كتاب المستصفي للغزالي (ت: 505هـ)، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة 552هـ. نسخها علي بن أبي القاسم نصر بن محمد بن أحمد العتري.

بالإضافة إلى امتلاك الخزانة لمجموعة من النسخ القديمة فإن أهمية المكتبة تعود أيضا إلى تميزها عن غيرها بعناوين فريدة، وكذا سلامة مخطوطاتها من الخرم والنقص على غير عادة أغلب مخطوطات.²⁸

ج. فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير:

أصل الخزانة يعود إلى نشأة دار التلاميذ في زمن الشيخ عمي سعيد الجربي (ت: 898هـ / 1492م)، وهو ما أشار إليه صاحب ملحق السير حين ترجم للشيخ عمي سعيد من وجود خزانة بدار التلاميذ بغرداية في القرن 10 الهجري.²⁹ ثم تزودت عن طريق عدة مصادر منها:

- الوقف والحبس لفائدة الخزانة.

- ضم خزائن أو أقسام منها عند انعدام أحد شروط الواقف.

- ضم الكتب التي لم يعلم أصحابها.

- عمليات النسخ.³⁰

وقد تميزت الخزانة عن غيرها من الخزائن بعدة مميزات زادت من أهميتها منها:

- كونها تجربة رائدة للمكتبات العمومية، إضافة إلى عامل السبق، إذ يبلغ عمرها حوالي 5 قرون.

- كونها أقدم مكتبة عمومية بقيت ماثلة إلى العصر الحديث في مزاب.

- هي أكبر مكتبة في قصر غرداية حيث تضم 1303 عنوانا

- كونها أثرا علميا خصبا للنشاط العلمي، والنظام التربوي المعمول به في وادي مزاب والمتمثل في "هيئة إروان" أو هيئة التلاميذ.³¹

تم الفراغ من إعداد الفهرس في شهر ربيع الثاني من سنة 1430هـ الموافق لشهر أفريل من سنة 2009م، ويقع الفهرس في 584 صفحة ويضم 1193 عنوانا، منها 894 في الأعمال النثرية، و299 في الأعمال النظامية، وقد شغلت المواضيع الفقهية الحيز الأكبر ب 342 عنوان، ثم اللغوية ب 203 عنوان، فالعقيدة ب 128 عنوان. وقد ذيل الفهرس بملحقين أحدهما للمصاحف الشريفة التي بلغ عددها 110 مصحفا، وأما الثاني فكان لنماذج مصورة لبعض المخطوطات.

²⁸ - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي، (1428هـ-2007م)، ص: هـ-و، ك.

²⁹ - ينظر أبو اليقضان إبراهيم: ملحق السير، مخ، (نسخة مصورة) ج 1/ص 6.

³⁰ - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير، أقدم وأكبر خزانة مخطوطات بمدينة غرداية، تقدم: أ.د. إبراهيم بحاز، (1430هـ-2009م)، ص: ق.

³¹ - ينظر: المرجع السابق، ص: د.

وأقدم نسخة بالخزانة لكتاب ديوان الأشياخ (ق5هـ)، تم نسخها في 889هـ من قبل أحمد بن إبراهيم بن عمر المصعبي.

د. فهرس مخطوطات الخزانين للشيخين بنوح بن أحمد مصباح وصالح بن حمو باهون بغرداية:

يشتمل الفهرس على خزانيتين مستقلتين، قام القسم بفهرستها بعد تقدم بهما أبناء الشيخين، وقد تم الفراغ من فهرسة الخزانيتين في سنة 1431هـ الموافق لسنة 2010م. والذي يعتبر آخر إصدار لقسم التراث إلى حد كتابة هذه الأسطر.³²

يقع الفهرس في 97 صفحة ويضم 119 عنوانا في كلتا الخزانيتين، منها 101 عنوان في الأعمال النثرية و 18 عنوان في الأعمال النظامية.

وأقدم نسخة في الخزانيتين هي في خزانة الشيخ بنوح مصباح وهي لكتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، والتي يعود نسخها إلى 912هـ.

يحتوي الفهرس على ثلاثة ملاحق وهي:

1- المصاحف الشريفة

2- صور لنماذج من المخطوطات

3- قائمة ما بقي من الأوراق المتفرقة المخطوطة التي لم تدرج في الفهرس.

خاتمة:

في ختام هذا العرض يبقى أن نشير إلى أننا حاولنا استعراض نماذج لبعض الخزانين والمكتبات التي تم فهرستها ضمن جهود جماعية لهيئات وجمعيات، وبالتالي لا يعني أننا استوفينا كل أعمال الفهرسة لمكتبات وادي مزاب، فقد ظهرت بعض الجهود الفردية لبعض المكتبات أو الباحثين من الذين شاركوا في فهرسة المكتبات السابقة واستفادوا من تجربتها، ومن هذه الأعمال نذكر ما يأتي:

1- فهرس مكتبة الحاج صالح لعلي ببني يزقن.

2- فهرس خزانة الشيخ بيانو محمد بن يوسف ببني يزقن.

3- فهرس مكتبة الإستقامة ببني يزقن.

4- فهرس مكتبة أوزكري إبراهيم ببني يزقن.

ومن المؤكد أن مؤسسة الشيخ عمي سعيد بمشروعها الطموح الذي سخرت له كل إمكانياتها المادية والمعنوية ستطلعنا بفهارس أخرى لمكتبات قيمة، خاصة مع انتشار التوعية لدى ملاك المكتبات الخاصة ووضع الكثير منهم لمكتباتهم تحت تصرف قسم التراث للمؤسسة.

ورغم الجهود التي بذلت ولا تزال في سبيل حماية مخطوطات مكتبات وادي مزاب، وإخراج المخطوط إلى الحياة العلمية ليؤدي دوره الذي أنيط به، وأراده منه مؤلفه؛ إلا أن العديد منها لا يزال حبيس الخزانين، أحكم أصحابه الإغلاق عليه إلى درجة الإضرار به، فكان مرتعا للأرضة، يترقب لحظة الخلاص.

³² - ينظر: مؤسسة عمي سعيد: فهرس الخزانيتين للشيخين بنوح مصباح والشيخ صالح ، ص: أ.